



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

يناير ٢٠١٥

أحبائي،

سلام ونعمة.

منذ عدة رسائل مضت توقفنا لبرهة قصيرة عن تناول موضوع الآداب الرهبانية لكي نناقش موضوعات أخرى هامة. وسوف نعود الآن لموضوعنا السابق لنناقش آداب العمل موجّهين أذهاننا لمعنى واحدة من أجمل الآيات في الكتاب المقدس وهي:

"افعلوا كلّ شيءٍ لمجدِ الله" (١كو ١٠: ٣١)

آداب العمل في الدير لا تختلف عن آداب العمل في العالم من حيث الأمانة، والإخلاص، واحترام الآخرين، والتعاون. ولكن يوجد شيئاً واحداً شديد الاختلاف بين الإثنين وهو: "تعريف النجاح".

غالباً ما يقاس النجاح في العالم بالنفوذ والسلطة، أو بالمنصب والمركز أو حجم الثروة، في حين أنه العكس تماماً في الدير. فثروة الراهب في فقره وبدلاً من السعي إلى ارتقاء السلم الإداري يهرب من المجد الباطل ومديح الناس. ويرغب دائماً أن يكون الأقل والأحقر بين أخوته. "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا" (مت ٢٠: ٢٦، ٢٧).

في العالم، تعلمنا أن نكون كأسمك القرش في مكان العمل، نستعمل كل الوسائل والسبل حتى نفوق من حولنا لكيما نفوز بالنصيب الأكبر، ولكن في الدير، قبل أن تتم رغباتنا الخاصة يجب أن نسعى لما هو صالح لأخوتنا أولاً "لَا يَطْلُبُ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَّا هُوَ لِلآخَرِ" (١كو ١٠: ٢٤). يُعد هذا الاختلاف عظيم الأهمية، لأننا إذا ما نسيناه فسوف نسقط بسهولة في أخطر الخطايا ألا وهي خطيئة الكبرياء، وعندئذٍ نفتح الباب لكثرة من الخطايا التي تفصلنا عن الله. والسؤال هنا كيف نظل متيقظين لئلا نسقط في خطيئة الكبرياء؟

يقول القديس يوحنا كاسيان: "كل أحد (من الرهبان) يتمم العمل الموكل إليه بينما يتلو مزموراً أو آياتاً من الكتاب المقدس. وبذلك لا يدع الفرصة أو يتيح الوقت للمكائد المُضرة أو المؤامرات الشريرة، أو حتى الحديث الفارغ غير المثمر، حيث أن الفم والقلب كلاهما مُنشغل باستمرار بالتأملات الروحية". (المؤسسات – يوحنا كاسيان)

وهذه، يا أحبائي ببساطة شديدة، هي الإجابة على تساؤلنا: "الصلاة"، فالصلاة هي الأساس لآداب العمل بالنسبة لنا، وبدونها لا يبقى لدينا إلا فهمنا الخاص والعمل المعطى لنا. وبدونها أيضاً نعمل ليس لأجل مجد الله ولكن لأجل مصالحتنا الشخصية، وبدونها كذلك نصارع التحديات التي تواجهنا بقوة، ونسعى لإيجاد معنى لها أو فهمها. بل وقد نحاول التخلص منها وذلك بدلاً من أن نثق ونعتمد اعتماداً تاماً على عناية الله ورعايته لنا.

"إِنَّ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ، فَبِاطِلًا يَتَعَبُ الْبُنَاوُونَ" (مز ٢٧: ١). إذا وضعنا الله أمامنا في كل ما نعمل فحينئذٍ قبلما نتخذ رد فعل حيال أي شيء سواء كان إتخاذ قرار مرتبط بعملنا، أو مواجهة عقبة ما، أو في علاقتنا مع أخوتنا، سوف نتوقف للحظة ونسأل إلهنا: يارب ماذا تريد منا أن نفعل؟ (أع ٩: ٦) "وَلَكِنْ لَيْتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ" (لو ٢٢: ٤٢). إذن فحياة إنكار الذات والصلاة تمكننا بالحقيقة من أن نبني بيتنا على الصخر وليس على خيلاء أو زهو رغباتنا العابرة.

إن الصلاة هي الأرض التي علما نبي أساساتنا، فإن كانت هذه الأرض ذات قدرة احتمال جيدة فسوف تحمل ثقل المبنى دون خوف من حدوث أضراراً في المستقبل ولمدة أعوام كثيرة قادمة. لأنها سوف تصمد بقوة مقاومة لظروف التغيير، في حين أنه لو كانت الأرض ضعيفة، فإن الأساس أخيراً سوف يتصدع وينهار لأنه لم يكن راسخاً، وفي هذه الحالة يصبح في احتياج لجهود كبير لإعادة ترميمه مرة أخرى.

أحبائي، كان بإمكانني أن أكتب إليكم قائمة مطوّلة بما يجب وما لا يجب علينا فعله فيما يتعلق بأداب العمل، ولكن الحقيقة أن كل واحد منا يعرف مسبقاً أننا مدعوون للطاعة إلى ما هو ضد المنطق الشخصي، والخضوع لتوجيهات مرشدينا، ولخدمة اخوتنا، وأن نتضع. ونحن نعلم جيداً أن نجاحنا يُقاس بمقدار المحبة التي نفعل بها كل شيء "لِيَتَصِرَ كُلُّ أُمُورِكُمْ فِي مَحَبَّةٍ" (١ كو ١٦: ١٤)، لأن الله لم يقل لنا: "نعماً أيها العبد الصالح والناجح" بل بالأحرى قال: "نِعْمًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالْأَمِينُ!" (مت ٢٥: ٢١). وهذه المحبة – وهذا الإيمان – لن نقتنيه إلا بنعمة الله من خلال الصلاة.

وكما هو الحال دائماً، فنحن لدينا حرية الاختيار، إما أن نحيا ونعمل بدون أن نسعى لمجد الله والاعتماد كليةً على مشيئته، أو أن نحيا ونعمل بالسعي نحو ملكوت الله "لَكِنْ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ" (مت ٦: ٣٣). وهذا تحل البركة على كل ما نعمله من خلال الصلاة.

ليبدأ هذا العام الجديد أيضاً بأساساتٍ جديدةٍ على أرضٍ جديدةٍ، لأن ما ينبغي القيام به سوف يتم عمله بطبيعة الحال، ولكن الغني العبي يترك غناه على الأرض، بينما العبد الأمين يكتز لنفسه كنزاً في السماء.

أتمنى لكم عاماً جديداً مباركاً وعيد ميلاد مجيد. ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.